شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني-رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١١)

ثم قال أبو عثمان:

(قرأت في رسالة الشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله عز وجل: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ}، وقال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}، ونؤمن بذلك كله على ما جاء بلا كيف) أهل السنة لما كانوا يثبتون المعنى، احتاجوا أن يحترزوا فيقول قائلهم: بلا كيف، فهذا ولله الحمد يدل على أن أهل السنة على هذا الطريق والمهيع الرشيد من إثبات المعاني وتفويض الكيفية إلى الله عز وجل.

وهاهنا أمر مهم أشار إليه بقوله: **(فانتهينا إلى ما أحكمه، وكففنا عن الذي يتشابه)** ثم استدل بآية آل عمران، وهذا في الواقع مبحث مهم وهو مبحث: الإحكام والتشابه؛ فاعلموا أن القرآن العظيم وصف بالإحكام العام، ووصف بالتشابه العام، القرآن العظيم وصف كله بأن محكم {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ} لم يستثني الله شيئًا، هذا الإحكام العام معناه الإتقان، فالقرآن كله ولله الحمد لا تفاوت فيه ولا اضطراب ولا خلل، فالقرآن كله بهذا الاعتبار محكم، أما الدليل على التشابه العام {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} إذًا القرآن كله موصوف بالتشابه، معنى هذا التشابه أنه يشبه بعضه بعضًا، ويصدق بعضه بعضًا، فما جاء في موضع، يكون مؤيد لما جاء في موضع آخر، وبالتالي هذا الإحكام العام لا يتعارض مع التشابه العام، بل إن التشابه العام، يؤيد الإحكام العام، يعني ما وصف به القرآن من الإحكام العام يعني أنه كله متقن {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}، وما وصف به

القرآن من أنه متشابه تشابه عام في جميع سوره وآياته فالمقصود أنه يصدق بعضه بعضا، وبالتالي فلا تنافي بين الإحكام العام والتشابه العام.

بقينا في الإحكام الخاص والتشابه الخاص الذي نفهمه من قول الله عز وجل: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} فهذا مقصود به الإحكام الخاص والتشابه الخاص، فالمقصود بالمحكم هو: واضح الدلالة، ما اتضحت دلالته، والمتشابه هو ما خفيت دلالته، أو احتملت عدة محامل.

لكن ينبغي أن نعلم أمرا مهمًا وهو أن التشابه الخاص؛ تشابه نسبي إضافي، يعني أن هذا الاشتباه يحصل لبعض الناس لا لمجموعهم، وربما وقع للشخص الواحد في وقت دون وقت، وفي نص دون نص، فهو تشابه نسبي إضافي، وليس ثمة في كتاب الله عز وجل آيات بعينها يقال عنها أنها آيات المتشابه، احفظوا هذا جيد؛ لأنه يزيل إشكالات كثيرة ويرد في نحور أهل البدع، هذا التشابه تشابه نسبي إضافي، فلا تكون الأمة بمجموعها تخفى عليها دلالة بعض ما أخبر الله به في كتابته؛ لأن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب تبيان لكل شيء، ووصفه بأنه مبين، فلا يمكن أن يبقى فيه شيء غامض الدلالة غير معلوم، حتى الحروف المقطعة التي درج بعض المفسرين على القول لها معنى لا يعلمه إلا الله، والصحيح أن هذا التعبير غير دقيق، فإن هذه الحروف المقطعة لا معنى لها، إذ لا يمكن أن يكون لها معنى ويخفيه الله عنا ويكتمه، فليس لها معنى لكن لها مغزى، ومغزاها أن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن العظيم من جنس هذه الأحرف (الم، الر، حم، ن، ق، ص) فالله تعالى يتحدى العرب أن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن الذي هو مؤلف من مثل هذه الأحرف التي ينطقون به، ولهذا غالبا ما يتبع الله عز وجل هذه الحروف المقطعة بذكر القرآن العظيم، مثاله: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}، مثال آخر: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ}، {الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ}، وهكذا معظم الآيات، ظاهرة واضحة في ذكر القرآن بعد الحروف المقطعة، وبعضها مما يستنبط استنباطًا، إذًا نقول عن هذه الحروف المقطعة أنها ليست من قسم المتشابه، ولا يوجد في القرآن العظيم شيء يشار إليه معين أنه متشابه، بل التشابه أمر نسبي، فمن أظهر الله تعالى له المعنى وجلاه له فهو في حقه محكم، وهذا هو الإحكام الخاص، بحيث ظهر له دون غيره، ومن خفي عليه هذا المعنى

هذه المادة لم تراجع على الشيخ .حفظه الله.

والتبس فهو مشتبه عليه هو، ولذلك كانت طريقة الراسخين في العلم إذا اشتبه عليهم شيء أن يقولوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا}، فهكذا ينبغي للمؤمن إذا خفي عليه معنى شيء في كتاب الله عز وجل، أو لم يتمكن من تصوره أن يؤمن إيمان مجملًا، فيقول: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا}، ويعزم على البحث عنه والتزود من العلم، حتى يزول عنه هذا الإشكال.

ومن هنا نقول: أنه لا صحة لما يدعيه أهل البدع من أن آيات الصفات من قسم المتشابه، فإنهم درجوا على القول أن آيات الصفات وأحاديثها من قسم المتشابه، حتى وضعوا العنوانات على طرة الكتاب في آيات الصفات في تأويل الآيات المتشابهات، يعنون بذلك: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ}، إلى غير ذلك، ويزعمون أن هذه آيات متشابهات، فالصحيح أن آيات الصفات من أحكم المحكم، وأنه من أعظم ما بينه الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، كيف لا وهو أعظم ما تحتاج إليه الأمة، فلابد أن يكون العلم به من الأمور الميسورة المتاحة لكل مؤمن دون كلفة وعناء، فليست من قسم المتشابه كما زعم هؤلاء، بل كل ما في كتاب الله عز وجل محل للتعقل والتدبر، قال الله عز وجل: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}، لم يستثني الله عز وجل شيئا، وقال: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}، هل قال إلا آيات الصفات ونصوصها؟ أبدًا، إذًا كل ما في كتاب الله محل للتدبر والتعقل {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، إذًا هذا هو الكلام في مسألة المحكم والمتشابه.

ثم روى بسنده فقال: (**أخبرنا أبو بكر بن زكريا الشيباني سمعت : أبا حامد بن الشرقي يقول: سمعت حمدان السلمي وأبا داود الخفاف يقولان: سمعنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي**) هو الإمام إسحاق بن راهوية (**يقول: قال لي الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا)). كيف ينزل؟ قال، قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف؟ إنما ينزل بلا كيف**) فهو رحمه الله أثبت النزول، و لم يثبت تكييفًا، بل وكل ذلك إلى الله عز وجل.

قال أبو عثمان:

(حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العدل، قال: حدثنا محبوب بن عبد الرحمن القاضي، قال: حدثني جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن محبوب، قال: حدثنا أحمد بن حمويه) هكذا رسمت ولعل فيها تصحيفًا **(قال: حدثنا أبو عبد الرحمن العتكي، قال: حدثنا محمد بن سّلام، قال: سألت عبدالله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبدالله: يا ضعيف في كل ليلة يترل، فقال له رجل يا أبا عبدالرحمن! كيف يترل؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبدالله: يترل كيف شاء، وفي رواية أخرى لهذه الحكاية: أن عبدالله ابن المبارك قال للرجل: إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخضع له)** إذًا قوله يا ضعيف، يعني أنه استدرك عليه كونه لا يثبت الترول إلا من حديث ليلة النصف من شعبان، مع أن الأمر الأدلة عليه متكاثرة فهو يترل كل ليلة كما سيتبين، على أن السند فيه مقال.

ثم قال أبو عثمان:

(سمعت الحاكم أبا عبدالله الحافظ يقول: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول: سمعت أحمد بن سعيد بن إبراهيم أبا عبدالله الرباطي يقول: حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق ابن إبراهيم يعني ابن راهويه، فسئل عن حديث الترول: أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض قواد عبدالله يا أبا يعقوب أتزعم أن الله يترل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف يترل؟ قال له إسحاق: أثبته فوق حتى أصف لك الترول، فقال الرجل: أثبته فوق، فقال: إسحاق: قال الله عز وجل: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًا}، فقال الأمير عبدالله: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟) لعل هذه القصة نفس القصة السابقة، ولعلها حادثة أخرى.

ثم قال أبو عثمان:

(وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا خبر متفق على صحته مخرج في ((الصحيحين))، من طريق مالك بن أنس عن الزهري عن الأغر وأبي سلمة عن أبي هريرة: أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد، قال: حدثنا أبو مصعب قال: حدثنا مالك، {ح}) (ح) هذه علامة تحول الإسناد؛ لأنه بلغ في السند السابق إلى مالك، وطريقة المحدثين أنه إذا كانت لهم طرق متعددة تلتقي عند راو واحد يرويها ذلك المحدث، أنه يأتي بهذا الرمز ح علامة تحويل السند فقال: (ح) **(حدثنا أبو بكر بن زكريا قال: حدثنا أبو حاتم مكي بن عبدان، قال: حدثنا محمد بن يحيى قال: وفيما قرأت على ابن نافع)** في بعض النسخ:

نافع وهو خطأ، والصواب: قرأت على ابن نافع، وكان صاحبًا للإمام مالك **(وحدثني مطرف عن مالك)** الآن بلغ السند إلى الإمام مالك، **({ح} وحدثنا أبو بكر بن زكريا، قال: أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن إبراهيم ابن باكويه)** والصواب بالوية، وهذه أسماء أعجمية، **(قال: حدثنا يحي بن محمد قال: حدثنا يحيي بن يحيى، قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب الزهري)** إذًا قد ساق المؤلف حتى الآن ثلاث طرق إلى الإمام مالك من روايته، ثم عن مالك عن ابن شهاب، **(عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة)** كلاهما، **(عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له))**

هذا الحديث الشريف، هو موضوع هذا الدرس وهو إثبات النزول لله عز وجل، واعلموا أن حديث النزول، قد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثمان وعشرون صحابيًا، أثبت الشيخ أبو عثمان منهم في هذا الكتاب بروايته أحد عشر صحابيًا، فهو حديث ثابت متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا سبيل لأهل البدع إلى رده، وأنى لهم، وفيه بشرى يفرح به أهل الإيمان، فهو بشارة من النبي صلى الله عليه وسلم لكل سائل، لكل مذنب، أن الله سبحانه وتعالى ينزل كما يليق بجلاله وعظمته، إلى السماء الدنيا، والمقصود بالسماء الدنيا: هي السماء القريبة من الأرض، سميت دنيا لدنوها من الأرض، ويكون ذلك حين يبقى ثلث الليل الآخر، وقت السحر في الهزيع الأخير من الليل، فيقول سبحانه وتعالى: ((من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، وذلك كل ليلة))، فلا ريب أن هذا الحديث مما يفرح به أهل الإيمان، ويستبشرون به، ويجدون فيه فرجًا من المضائق، وطمعًا في فضل الله ورحمته، ومن العجب أن يكون من ينتسب إلى أهل الإسلام يسعى في إبطاله وتحريفه، وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو عثمان:

(ولهذا الحديث طرق إلى أبي هريرة) لعلنا نستكمل ذكر الطرق ثم نتكلم عن الحديث، **(رواه الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة {ح} ورواه يزيد بن هارون وغيره من الأئمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ومالك عن الزهري عن الأعرج عن أبي هريرة، ومالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وعبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة، وعبد الأعلى بن أبي المساور وبشير بن سليمان عن أبي حازم عن أبي هريرة)** إذًا هذه سبعة طرق تنتهي كلها إلى أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: (**وروي هذا الخبر من غير طريق أبي هريرة، رواه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه**) أي المطعم بن عدي، (**وموسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى عن عبادة بن الصامت، وعبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله، وعبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب، وشريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود ومحمد ابن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء وأبو الزبير عن جابر وسعيد بن جبير عن ابن عباس وعن أم المؤمنين عائشة وأم سلمة رضي الله عنهم**).

إذًا هؤلاء أحد عشر صحابيًا، أثبتهم أبو عثمان الصابوني، بطرق سيذكرها عن هؤلاء الجمع من الصحابة، وقع في بعض النسخ، بعد قوله: وأم سلمة؛ رضي الله عنهم كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال : ((يترل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، أو الأخير، فيقول: من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيت له، من يستغفرني فأغفر له))، وهذا هو نص الحديث الذي قرأناه سابقا من رواية أبي سلمة، وكذل الأغر عن أبي هريرة.

قال أيضا أبو عثمان كما في بعض النسخ:

(**فبذلك كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله**)، قال: (**وهذه الطرق كلها مخرجة بأسانيدها في كتابنا الكبير المعروف بالانتصار**) وهذا الكتاب للأسف مفقود، وقد وقع أيضًا سقط في بعض النسخ: وفي رواية يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

(**وفي رواية الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه يترل الله إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح))، وفي رواية سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة زيادة في آخره وهي: ((ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم))**) سبحانه وتعالى، وهذه قد ثبتت في ((صحيح مسلم)).

(**وفي رواية أبي حازم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يترل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير فينادي هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ فلا يبقى شيء فيه الروح إلا علم به، إلا الثقلين الجن والإنس، قال: ((وذلك حين تصيح الديوك وتنهق الحمير وتنبح الكلاب))** أما أول

هذا الحديث فهو ثابت صحيح كما قد مر بنا في طرق متعددة، وهو عند الإمام أحمد والدارمي والآجري وابن أبي عاصم، أما آخر الحديث، فقد ذكر المحقق أنه لم يجد تخريجًا له، وذلك من قوله: (**فلا يبقى شيء فيه الروح**) إلى آخره.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.